الانعكاسات الإقليمية لتصعيد المواجهة بين إيران وإسرائيل

مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية

في ١٣ أبريل ٢٠٢٤، شنت «إيران»، بواسطة مئات الصواريخ والطائرات المسيرة، أول هجوم مباشر لها ضد إسرائيل، ردا على الغارة الجوية الإسرائيلية التي استهدفت مجمعا دبلوماسيا إيرانيا بدمشق في الأول من أبريل، وأسفرت عن مقتل قائد كبير في الحرس الثوري، وبعض مساعديه، الأمر الذي جعل المراقبين الغربيين يعربون عن مخاوفهم من نشوب صراع كبير بين خصمين رئيسيين يمتلكان القدرات، قد تطال آثاره بقية المنطقة.

ودعما لهذا التقييم، وصف «جاك ديتش»، و«روبي جرامر»، في مجلة «فورين بوليسي»، هذه العملية بأنها «أخطر لحظة في الشرق الأوسط خلال السنوات الأخيرة». في حين حذر «جوليان بورجر»، في صحيفة «الجارديان»، من أن مصير المنطقة، «معلق بين شقي الرحى»، بينما ينتظر العالم ليرى ما إذا كان الائتلاف اليميني بزعامة «بنيامين نتنياهو»، سيرد بمزيد من الانتقام، وبدوامة تصعيد خارجة عن السيطرة أم لا».

وبعد ما يقرب من أسبوعين من الغارة الجوية الإسرائيلية -المذكورة أعلاه -على دمشق، والتي كانت في حد ذاتها جزءًا من حملة أوسع من الهجمات الخارجية لاستهداف كبار المسؤولين الإيرانيين أو المرتبطين بهم؛ لم يكن رد «طهران»، «مفاجئًا»، حيث أكدت مرارا أن هجوم دمشق لا يُمكن أن يمر دون رد. وأشار «جيريمي بوين»، من شبكة «بي بي سي»، إلى الكيفية التي تم بها التعبير عن نيتها في الرد بقوة من خلال «تصريحات قيادتها التي لا لبس فيها»، وهو الأمر الذي أعطى أيضا لإسرائيل وحلفائها «الكثير من التحذير»، وبالتالي الوقت للاستعداد. ومع ذلك، أشار إلى أن الهجوم النهائي، الذي شمل ما يقرب من ٣٠٠ مسيرة وصاروخ تم إطلاقها -ليس فقط من الأراضي الإيرانية، ولكن أيضًا من اليمن، والعراق، ولبنان-كان «أكبر»، مما توقعه عديد من المحللين الغربيين.

وعلى الرغم من إعلان إسرائيل اعتراض جميع المقذوفات تقريبًا بمساعدة الأمريكيين، والبريطانيين، والفرنسيين، ودول إقليمية أخرى -مع وصف «دانييل بايمان»، من «مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية» و«كينيث إم بولاك»، من معهد «أمريكان إنتربرايز»، مشاركة الأردن بأنها تحول «استثنائي» -فقد تم الاعتراف بأن آثار هذه الواقعة عميقة للغاية بالنسبة إلى الديناميكيات الأمنية المستقبلية في الشرق الأوسط.

ورأى «ويليام ويشسلر»، من «المجلس الأطلسي»، أن الرد الإيراني «كان يهدف بوضوح إلى ردع إسرائيل عن استهداف منشآتها الدبلوماسية مرة أخرى»، مع رغبتها «في عدم رؤية منشآتها الدبلوماسية جزءًا من ساحة المعركة». ووافق «بوين»، على أنها «أرادت استعادة شعور الردع الذي فقدته عندما هاجمت إسرائيل المجمع في دمشق». وامتدادًا لعنصر الردع هذا، أشار «ويشسلر»، إلى كيف أن هذا الرد يؤسس أيضا «سابقة جديدة» لكيفية امتلاكها بالفعل القدرة على تهديد إسرائيل بشكل مباشر بمسيراتها وصواريخها، وهو ما اعتبره «سيغير طبيعة الصراع المستمر» لصالحها.

وعلى المدى القصير، أثارت الهجمات المتبادلة والانتقامية بين «إسرائيل»، و«إيران»، تحذيرات من تصعيد خارج عن السيطرة، يمكن أن يؤدي إلى صراع على مستوى المنطقة. وأعرب «مات دوس»، من «مركز السياسة الدولي»، عن أسفه لكيفية وجود المنطقة والعالم الأوسع في وضع بحيث «ينشد الجميع أن تتصرف إيران بمزيد من العقلانية وضبط النفس عن إسرائيل.»

علاوة على ذلك، تم تأكيد دور القوى الغربية التي ساعدت إسرائيل، وأبرزها «الولايات المتحدة» في تهدئة المخاوف التصعيدية من خلال حث «نتنياهو»، على عدم الرد بالقوة على هذه الهجمات. ورأى «بوين»، أنه على الرغم من أن «واشنطن»، لطالما ساعدت إسرائيل «بشكل كبير»، وأكدت دعمها اللامحدود لها؛ فقد طالبتها هذه المرة بضبط النفس».

وفي الوقت نفسه، أوضح «بورجر»، كيف كانت «إيران»، تأمل في توجيه «رد هجومي غير ناجع»، لاسيما وأنها أشارت بوضوح إلى نيتها الانتقام قبل أسابيع، ثم أرسلت صواريخ وطائرات مسيرة من مسافة طويلة، وفقا لتقييم «ويشسلر»، وهي تدرك تماما أن هجماتها «يمكن إحباطها بسهولة من خلال الدفاعات الإسرائيلية». ولعل حقيقة أنها «لم تستهدف بشكل واضح أي منشآت أمريكية»، تُظهر أنها «أرسلت إشارة لا لبس فيها»، أنها تريد تجنب المزيد من التصعيد، الذي يمكن أن يشعل حربًا إقليمية. وأوضح «بوين»، أيضًا أن طهران من الآن فصاعدا «لن تصعد مواقفها إلا إذا تعرضت لهجوم أكثر قوة مرة أخرى».

بالإضافة إلى ذلك، تمت الإشارة إلى الأصوات الغربية الداعمة لإسرائيل -على الرغم من تدميرها لقطاع غزة، وخلق أزمة إنسانية كبرى -والتي دعت إلى الانتقام من إيران دفاعا عن إسرائيل، بمساعدة واشنطن. وانتقد «ريتشارد غولدبرغ»، من «مؤسسة الدفاع عن الديمقراطيات»، والذي عمل سابقاً في مجلس الأمن القومي الأمريكي، «سياسات بايدن الرامية إلى استرضاء إيران»؛ بسبب السماح لها بشن هجوم واسع النطاق على إسرائيل دون مواجهة أي عواقب». وفي هذا الصدد، أوضح «ديتش»، و«جرامر»، أن كبار المسؤولين في كل من الحزبين الديمقراطي والجمهوري، طالبوا بوضع تشريعات جديدة لتعزيز الإنفاق الدفاعي الأمريكي لمساعدة إسرائيل.

ومع ذلك، رفض العديد من المراقبين والخبراء الغربيين هذه الإجراءات، باعتبارها قد تؤدي إلى تفاقم التصعيد. ووصف «ويشسلر»، الدعوة إلى تعزيز المساعدة الأمريكية لإسرائيل عبر تنفيذ ضربات مسلحة ضد طهران، بأنها «متهورة، وحمقاء بقدر ما تفتقد إلى الحكمة».

ولا شك أن تفاقم التوترات الإقليمية بين إسرائيل وإيران لها عواقب إقليمية على كل البلدان في جميع أنحاء الشرق الأوسط، لاسيما أنه مع تخطيط «نتنياهو»، لتنفيذ هجوم على رفح في غزة، فإن الكيفية التي سترد بها «إيران»، ووكلاؤها على هذا الهجوم العسكري الذي يستهدف المدنيين الفلسطينيين، قد يشكل عنصرًا آخر يؤدي إلى تفاقم التوترات.

وعلى نطاق أوسع، أصبحت قوة الردع الأمريكي في المنطقة «محل شك»؛ بسبب الهجمات الصاروخية والطائرات المسيرة التي شنتها إيران دون عواقب. وسلط «ويشسلر»، الضوء على كيف أثبتت الأخيرة أنها «قادرة على تهديد إسرائيل بشكل مباشر دون إثارة رد عسكري أمريكي»، وبالتالي فإن أفعالها تهدف إلى حث حلفاء أمريكا الآخرين، على «استخلاص درس مفاده أنه لا ينبغي لهم أن يعتمدوا على مظلة أمنية أمريكية غير موثوقة وغير فعالة».

ومع إشارة «بورجر»، إلى أن عملية اعتراض الصواريخ والطائرات المسيرة الإيرانية التي تم إطلاقها باتجاه إسرائيل كانت من خلال «تحالف تم تشكيله على عجل»، وليس آلية مواجهة كانت معدة جيدًا سابقًا؛ فقد أوضح «بايمان»، و«بولاك»، أن الديناميكية المهيمنة لضبط هذا التصعيد هي اعتقادهما بأن «المنطقة معرضة للخطر من دون الولايات المتحدة، ومن دون مشاركتها فإن أمان المنطقة والاستقرار الإقليمي سيكون «محاطا بالأخطار المحدقة بشكل لا يمكن التنبؤ به».

وبعيدا عن الشكوك التي تدور حول دور الولايات المتحدة في المنطقة، فإنه يبقى واضحا أن طهران، في تقييم «ويشسلر»، «أصبحت راضية تمامًا عن الوضع الراهن في الشرق الأوسط بعد ٧ أكتوبر»، وهو الوضع الذي يقول «إنها تستفيد منه بشكل كبير». ومع تقدم برنامجها النووي «دون عوائق»، تزامنًا مع «انسحاب واشنطن من المنطقة»، حتى تتمكن من تعزيز مجال نفوذها بشكل أكبر؛ أقر بأن «آخر شيء تريده» هو إثارة حرب إقليمية أوسع نطاقا من شأنها المخاطرة بحدوث مواجهة عسكرية مباشرة بينها وبين أمريكا.

على العموم، يبرز الهجوم الإيراني الأخير على إسرائيل، تحولا مهما في ديناميكية المنطقة، حيث إن تصاعد التوترات بين الطرفين يمكن أن يسفر عن تورط دول أخرى وزيادة التدخلات الخارجية، مما يزيد من التعقيدات والمخاطر على مستوى المنطقة بأسرها.

ومع أن مسار الرد القادم يبدو في أيدي «نتنياهو»، وائتلافه، فقد خلص «بوين»، إلى أنه إذا قرروا عدم الرد على هذا الهجوم وتجنب التصعيد؛ فإن «الشرق الأوسط قد يكون قادرا على استعادة أنفاسه مجددا». ومع ذلك، وإدراكا منه للمخاطر المستمرة الناجمة عن الأحداث والتوترات غير المتوقعة والعوامل المحفزة للعنف، فقد حذر من أنه «ليس من المؤكد بأي حال من الأحوال أن يكون حالة عدم الرد نهاية هذه الحلقة الخطيرة من الاضطرابات الراهنة».

صناعة السفن الذكية.. الواقع الراهن وآفاق المستقبل

بقلم:
د. أسعد حمود السعدون ○

حينما تعاظمت التقنيات الناجمة عن الثورة الصناعية الرابعة، أطلق الباحثون والمهتمون بصناعة السفن، دعوات إلى أهمية تطوير تقنيات بناء السفن وفقًا لما تمخضت عنه الثورة الصناعية الرابعة لاسيما في مجال التصميم، والتصنيع والتشغيل والشحن والخدمات وأنظمة الإنتاج والصيانة وسلاسل القيمة وغيرها من قضايا ذات علاقة بجميع جوانب صناعة بناء السفن. خاصة وأن منجزات الثورة الصناعية الرابعة قد امتدت خلال السنوات القليلة الماضية إلى مختلف فروع الصناعة في العالم، وأدت إلى تحسينها باستمرار باستخدام الآلات والبرامج الجديدة، فضلا عن إعادة الهيكلة التنظيمية. علاوة على أن صناعة بناء السفن تعاني من عدة انشغالات رئيسية هي: كفاءة الإنتاج، وسلامة السفن، وكفاءة التكلفة وحفظ الطاقة وحماية البيئة. خاصة وأن السنوات (٢٠١٠-٢٠٢٢) م شهدت نشاطا واسعا للقرصنة البحرية في بحار عديدة حول العالم، إلا أن أكثرها كان في البحر الأحمر، وقد أظهرت تقديرات لدراسة أجراها البنك الدولي، إلى أن القرصنة البحرية تكلف الاقتصاد العالمي نحو (١٨) مليار دولار سنويا خلال العقد الماضي، فضلا عما تؤدي إليه من خسائر بشرية واضطرابات في أسواق الشحن والتأمين البحري. وعلى الصعيد العالمي تم الإبلاغ عن (١٢٠) حادثة قرصنة بحرية وسطو مسلح ضد السفن في عام ٢٠٢٣، مقارنة بـ(١١٥) حادثة في عام ٢٠٢٢، وفقاً لتقرير القرصنة والسطو المسلح السنوي الصادر عن المكتب البحري الدولي التابع لغرفة التجارة الدولية (IMB). كما وجد المكتب البحري الدولي أيضاً تهديدات متزايدة لسلامة الطواقم، مع ارتفاع عدد الطواقم المحتجزة كرهائن من ٤١ إلى ٧٣ في عام ٢٠٢٣، واختطاف الطواقم من اثنين إلى ١٤.

ومن أجل خلق قيمة جديدة لصناعة بناء السفن، يتم تأكيد أهمية أن تصبح السفن، سفن ذكية قادرة على التفكير والاعتماد على نفسها قدر الإمكان في كشف وتحديد الخطر وسرعة التعامل معه، باستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي والبيانات الضخمة وإنترنت الأشياء. إلى جانب النظام الفيزيائي السيبراني (CPS)، والحوسبة السحابية، والطباعة ثلاثية الأبعاد، وأجهزة الاستشعار، وتحديد تردد الراديو (RFID) ويرتبط ويتكامل تطوير وتنفيذ هذه التقنيات مع بعضها البعض، فمثلا يعتمد النظام السيبراني الفيزيائي على البيانات غير المتجانسة وتكامل المعرفة، بينما يتم جمع البيانات باستخدام أجهزة الاستشعار، وتخزينها باستخدام البيانات الضخمة وتقنيات الحوسبة السحابية. خاصة وأن البيانات الضخمة هي إحدى التقنيات الرئيسية للتصنيع الذكي، إذ إنها تدعم تبادل المعلومات لربط شبكات الإنسان والروبوتات في النظام السيبراني الفيزيائي. وقد استخدمت شركات عديدة ومنها شركة Raytheon Corp البيانات الضخمة لتمكين المصانع الذكية ذات القدرة العالية على إدارة المعلومات من مصادر مختلفة، مثل أجهزة الاستشعار والمعدات ومعاملات الإنترنت وعمليات المحاكاة والسجلات الرقمية، وقد تزايدت الدعوات لاعتماد هذه التقنيات في صناعة السفن في السنوات الأخيرة، وحققت الصين موقعا عالميا متقدما في مجال صناعة السفن الذكية، ومن المقرر أن تسلم المصانع الصينية في هذا العام أول سفينة ذاتية القيادة يمكن استخدامها للبحث العلمي والتدريب، وتحتوي على (١٥) ألف نقطة تحكم آلية، كما أنها تتمتع بوظائف ذكية مثل الرسو الآلي، وتجنب الاصطدام الذكي، والاستشعار التلقائي لبيئة الإبحار والسفن المحيطة بها، وهو مستوى متقدم من الذكاء. كما تسعى الصين إلى تسريع التحول نحو صناعة السفن الخضراء وتقليص الاعتماد على الوقود التقليدي عالي الكربون، وتشير الإحصائيات الصادرة عن جمعية صناعة بناء السفن الصينية إلى أن الصين في عام ٢٠٢٣ استحوذت على نحو (٥٧٪) من الحصة الدولية لطلبيات السفن الخضراء .

فما هي الآثار المتوقعة لتداعيات الحرب الإسرائيلية على غزة وانعكاساتها على الملاحة في البحر الأحمر، على صناعة بناء السفن بجوانبها التقنية؟ بداية لا بد من تأكيد أن الدعوات إلى أن تصبح السفن أكثر ذكاء قد وجدت مبررا قويا يتجاوز التكاليف العالية التي كانت تحول دون الوصول السريع إلى السفينة الأكثر ذكاء، والتي قد تحمل معدات وتجهيزات دفاعية وهجومية إلى جانب صفتها الملاحية التجارية. وبالتالي فإن مرحلة حرب غزة وما بعدها من المتوقع إن لم يكن من المؤكد والمجدي أن يشهد قطاع صناعة بناء السفن على مستوى العالم، موجة جديدة من التقنيات الذكية الهادفة إلى تحسين صناعة بناء السفن وزيادة مرونة وذكاء السفينة، وبما يمنحها المزيد من القدرة على مواجهة التحديات والتهديدات المسلحة ويحقق لطواقمها متطلبات الأمن والسلامة ، بما في ذلك التوسع في إنشاء السفن ذاتية الحركة، إلى جانب احتمالية ارتفاع عدد القبب الحديدية البحرية المفجرة للطائرات المسيرة والزوارق المسيرة، المحمولة على ظهر السفن، وغيرها من المبتكرات التقنية المعززة لأمن السفن .

○ أكاديمي وخبير اقتصادي

قيمة الإنسان.. بين المنظومة الغربية والقيم الإسلامية

بقلم: مصطفى عاشور ○

في القرنين الأخيرين، لم تحدث مواكبة من الفقه والفكر الإسلامي لحركة حقوق الإنسان، مقارنة بالتطور الكبير الذي شهدته التجربة الغربية على مستوى الأفكار والمؤسسات والتطبيق، كما أن إهدار قيمة الإنسان وحقوقه في أغلب المجتمعات الإسلامية ألقى بظلاله القاتمة على حقيقة عطاء الإسلام للإنسان كقيمة وحقوق، ولعل هذا التناقض الصارخ هو ما جعل الكثيرين يظنون أن هناك تقزماً في المنظومة المعرفية الإسلامية تجاه الإنسان.

ترتبط قيمة الإنسان في المنظومة المعرفية برؤية تلك المنظومة للذات الإنسانية، وبالحقوق المكفولة لها؛ كالحق في الحياة والحرية والمساواة والعدل والكرامة والأمن وتوفر سبل العيش.

أما تعرية الذات الإنسانية من قيمتها هو إضعاف للوجود الإنساني، وشطب للاستخلاف الإلهي للإنسان في الأرض، ولعل من أكبر ما يهدر قيمة الإنسان هو إجباره على التخلي عن أبعاده الروحية، وإحلال الأشياء المادية مكانها، فتلك المساعي تضع الإنسان في حفرة ضيقة، وتغلق رؤيته الكونية العلوية السماوية، وتقرن قيمته بالمنفعة منه، وتقصر الحضور الإنساني بين حدي اللذة والمنفعة، وكلاهما «يُشيِّئ» الإنسان؛ أي يجعله شيئاً مادياً.

تعرية الذات الإنسانية من قيمتها إضعاف للوجود الإنساني وشطب للاستخلاف الإلهي له، والقيمة تقترب من مفهوم الجوهر، وهي ما يُعطي الشيء أهميته ومكانته، وترتبط في المجال الإنساني غالباً بغير ما هو مادي ومحسوس، وما هو متجاوز للمادة، أما المادة فترتبط غالباً بكل ما هو مُستهلك ومؤقت وحسي ومرتكز على الإشباع واللذة والمنفعة.

ولعل هذا ما أشار إليه الطبيب النفسي فيكتور إي فرانكل، في كتابه «بحث الإنسان عن المعنى»، بتأكيده أن المادية نظرت إلى الإنسان من منظور المنفعة وليس من منظور القيمة المرتكزة على الكرامة، فيقول: «مجتمع اليوم يتميز بالتوجه نحو الإنجاز، وبالتالي فهو يعشق الناجحين والسعداء، ويعشق الشباب بشكل خاص، ويتجاهل، فعلياً، قيمة كل أولئك الذين هم على خلاف ذلك، وبذلك يطمس الفرق الحاسم بين أن تكون ذا قيمة بمعنى الكرامة، وأن تكون ذا قيمة بمعنى المنفعة، إن الخلط بين كرامة الإنسان ومجرد المنفعة، ينشأ من الارتباك المفاهيمي، الذي يمكن إرجاعه بدوره إلى العدمية المعاصرة.»

ولعل هذه النقطة الجوهرية التي لمسها فرانكل هي التي جعلت المنظومة المعرفية الغربية تتفهم وتبرر اللجوء إلى ما أسمته «القتل الرحيم» الذي طبقته ألمانيا النازية، وهو لا يختلف كثيراً في مضمونه عن القتل الرحيم الذي سمحت به بعض الدول لذوي الأمراض المزمنة للتخلص من حياتهم.

أما قيمة الإنسان في ظل التكنولوجيا خاصة الرقمية، فإنها شهدت تراجعاً كبيراً، فتلك التكنولوجيا باتت سؤالا فلسفيا بعدما أعادت تشكيل الإنسان، ولكن وفق منطق آخر لا ينظر إلى الإنسان كقيمة في ذاته، بل ينظر إلى الإنسان من بُعد واحد، كما أشار الفيلسوف هربرت ماركوز، في كتابه «الإنسان ذو البعد الواحد»، وفي ذلك النظر إهدار لقيمة ذلك الإنسان، الذي جارت التكنولوجيا عليه من الداخل، فصارت في مواجهة بُعده الروحي، مع تغلغلها في مناشط الإنسان وجوانب حياته، لذا بدت التكنولوجيا ككيان مستقل على الإنسان، بل كيان مسيطر على الإنسان.

التكنولوجيا لها دور كبير في إضعاف قيمة الإنسان المعاصر واغترابه في هذا العالم ، ومن ثم تحولت التكنولوجيا إلى سجن للإنسان، لا يستطيع أن ينعزل عنها، أو ينفك من أسرها، فانتقل من كونه سيداً في الكون ليكون خاضعاً لمنطق الآلة ذات القلب الحديدي، فالتكنولوجيا لم تعطِ أي قيمة للإنسان، فحسب الفيلسوف مارتن هايدجر، فإن التكنولوجيا لم تعد أداة؛ بل أصبحت وسيلة لفهم العالم، وتطورت خارج نطاق سيطرة الإنسان، وبات الإنسان لا يرى العالم إلا من خلالها، وبالتالي حجبت التكنولوجيا الإنسان عن ذاته وعن العالم، وهذا الحجب إهدار لقيمة الإنسان.

فالتكنولوجيا، حسب مفكرين غربيين، لها دور في إضعاف قيمة الإنسان المعاصر، ولها مسؤوليتها عن «تَشَيُّؤ» الإنسان واغترابه في هذا العالم، فـ«تَشَيُّؤ» الإنسان يلغي كرامته التي منحها له الله تعالى، أما اغترابه فيلغي دوره الاستخلافي في الكون؛ لذا انكمش الحضور الإنساني في العالم لصالح الآلة، وتراجع استقلال الإنسان الذاتي مع اعتماده الواسع على الآلة، وانعكست تلك التحولات على تغير مكانة الإنسان وعلاقته مع الكون والطبيعة، فإنسان الماضي ولى ولا رجعة له، وهذا لا يعني إلا تراجع تلك القيمة الفريدة التي كان يتمتع بها الإنسان باعتباره ذاتاً مستقلة، وباعتباره سيداً في هذا الكون.

وهذا ما تحدث عنه د. عبدالوهاب المسيري في أن التفكير المادي يرى أسبقية الطبيعة على الإنسان، وهو ما يفرض خضوع الإنسان لقوانين الطبيعة وحتمياتها، لكن الرؤية الإيمانية الدينية ترى أنه إذا كان للطبيعة الأسبقية في الخلق، فإن للإنسان الأفضلية بالتكريم الإلهي، ولذلك فالفلسفة المادية مُعادية للإنسان، عندما ساوت بين الإنسان والطبيعة، فحولته إلى شيء، واختزلته في الجانب المادي.

وتذهب الرؤية الإسلامية إلى أن الإنسان سيد في الكون، وأنه تشرف بأن نفخ فيه الخالق سبحانه تعالى من روحه، فهو كائن مكرم في ذاته، وجاءت الكثير من الآيات والأحاديث النبوية لتؤكد تلك الحقيقة، جاء في تفسير قوله تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) (الإسراء: ٧٠): وقد كرم الله هذا المخلوق البشري على كثير من خلقه؛ كرمه بخلقته على تلك الهيئة، بهذه الفطرة، التي تجمع بين الطين والنفخة، فتجمع بين الأرض والسماء في ذلك الكيان.

الإنسان في الرؤية الإسلامية سيد في الكون وتشرف بأن نفخ فيه الخالق من روحه وكرمه بالاستعدادات التي أودعها فطرته، التي استأهل بها الخلافة في الأرض، يغير فيها ويبدل، وينتج فيها وينشئ، ويركب فيها ويحلل، ويبلغ بها الكمال المقدر للحياة.

وكرمه بتسخير القوى الكونية له في الأرض، وإمداده بعون القوى الكونية في الكواكب والأفلاك، وكرمه بذلك الاستقبال الفخم الذي استقبله به الوجود، وبذلك الموكب الذي تسجد فيه الملائكة، ويعلن فيه الخالق، جل شأنه، تكريم هذا الإنسان! وكرمه بإعلان هذا التكريم كله في كتابه المنزل من الملأ الأعلى الباقي في الأرض؛ القرآن.«

وفي التطبيق النبوي لقيمة الفرد، أنه صلى الله عليه وسلم وقف حينما مرت به جنازة يهودي، وعندما تعجب أصحابه من ذلك قال لهم: «أليست نفساً؟«

أما ابن خلدون فيقول في تاريخه، عن تلك القيمة التي يحظى بها الإنسان: «والإنسان رئيس بطبعه، بمقتضى الاستخلاف الذي خلق له«.

وفي كتابه «من الإنسان الأبتر إلى الإنسان الكوثر»، ينتقد الفيلسوف طه عبدالرحمن تجزئة مدارك الإنسان، فهذه التجزئة ما هي إلا إضعاف لقيمة الإنسان، لأنها تلغي إحياء الروح الإنسانية التي هي مستودع الأسرار والوجود، وحسب عبدالرحمن، فخفض قيمة الإنسان بتحويله إلى ما يشبه الآلة والسلعة والمعلومة؛ لأن الأصل في الآلة التجريد والتجزئة، أما السلعة فمبناها على الثمن والربح، والمعلومة مبناها على الرقم والافتراض، وهذا يُخفض قيمة الوجود الإنساني ويضيقه.

أما الإسلام فشأن آخر بالنسبة إلى قيمة الإنسان، فكما يقول عبدالرحمن: «وتجديد الإنسان إنما يكون بإخراجه من وضع الآلة إلى وضع الآية، ومن وضع السلعة إلى وضع الهبة، ومن وضع المعلومة إلى وضع النفحة؛ أي الفطرة»، وبذلك تتكامل عناصر الوجود ومعانيها في الإنسان، ويحظى بالتكريم والقيمة.

○ باحث في العلوم السياسية

الرابح والخاسر في الضربة الإيرانية

بقلم: باسم برهوم ○

ما أطلق عليه الضربة الإيرانية لإسرائيل لم تكن ضربة بالمعنى الحقيقي بل كانت تمرينا بالأسلحة الحية، الجميع كان يعلم مسبقا بكل تفاصيله، بتوقيته ومدته الزمنية والأسلحة التي ستستخدم ومراحله خطوة بخطوة. وكأن الجميع عمل من غرفة العمليات العسكرية نفسها. ومع ذلك هناك حدث حصل بغض النظر أنه حدث تكتيكي بامتياز، فإن هناك من هو رابح ومن هو خاسر، وهو ربح وخسارة نسبية بطبيعة الحال، أكبر الرابحين هي الولايات المتحدة الأمريكية، لأنها أولا: أثبتت أنها المايسترو الذي تحت مظلته يعزف الجميع، فهو الذي يضبط إيقاع تحركات الأطراف ولا غنى للجميع عنه، بمن فيهم إيران، فالشرطي الأمريكي، هو من يحدد هوامش مناورات كل طرف، وثانيا: إن كل من هو تحت مظلة الحماية الأمريكية، يتلقى الحماية، بالطبع في طليعة هؤلاء إسرائيل التي يعتبر أمنها مسألة إستراتيجية بالنسبة إلى الولايات المتحدة الأمريكية والغرب عموما.

أما الرابح الثاني فهي إسرائيل التي أولا، تمتلك بلا شروط مظلة الحماية الأمريكية، بالإضافة إلى أنها أثبتت أن المتطور تكنولوجيا هو من يتحكم بالمشاهد، وثانيا: إسرائيل استفادت سياسيا لأنها استعادت التضامن القوي معها، بالإضافة إلى أنها باتت تمتلك شرعية الرد إذا ما أرادت وسمحت لها واشنطن، والأهم أنها، ولو إلى حين تخلصت من الضغوط المتعلقة بحرب الإبادة التي تقوم بها في غزة. وثالثا: لم تنجح الضربة بإجبار إسرائيل على منع تفردها بقطاع غزة. من الرابحين تأتي الدول التي شاركت في التصدي وهي بريطانيا، فرنسا والأردن وربما دول أخرى كان لها دور ولكن لم تظهر بالمشهد مباشرة.

تبقى إيران هي في موقع بين الرابحين والخاسرين، فهي قامت بالرد لكن ردها لم يغير الكثير في المعادلات وموازين القوى، فمن جانب بإمكانها أن تدعي أنها ردت وتقول إنها تخطت أحد الخطوط الحمر عبر مهاجمة إسرائيل مباشرة من أراضيها، بالرغم من أن الهجوم جاء ضمن ترتيبات تم الاتفاق بشأنها مع واشنطن، كما أنه لم يسبب أي أذى لإسرائيل. أما باقي أطراف محور المقاومة فحاله مثل حال إيران لم تربح ولم تخسر، ولكن مع ذلك هم في مأزق لأن الرد الإيراني لم يخرج من تحت عباءة المايسترو الأمريكي، وبالتالي ليس هناك محور مقاومة حر القرار أو مطلق اليدين يمكنه أن يفعل ما يشاء.

أما الخاسرون فيأتي في المقدمة قطاع غزة، الذي قبل الهجوم الإيراني كانت إسرائيل ونتنياهو شخصيا في عزلة ويواجه ضغوطا حقيقية لوقف الحرب، فاليوم انتقل التضامن مع إسرائيل، فالدول السبع الكبرى، بالإضافة إلى عدم تحمس روسيا للضربة، فما حصل قلب عمليا المزاج الدولي المتعاطف مع غزة إلى مزاج مجند للدفاع عن إسرائيل ورفض أي اعتداء عليها، يأتي من ضمن الخاسرين العرب بشكل عام، فالرد الإيراني ومن واجهوه كلهم تقاتلوا في الأجواء العربية. أما الفلسطينيون وبشكل عام ليس من مصلحتهم أن ينشغل العالم في أزمة كبيرة في وقت هناك حكومة فاشية في إسرائيل قد تستغل الفرصة إما لإطلاق يد المستوطنين لممارسة الوحشية ضد الفلسطينيين في الضفة، وإما أنها قد تحاول تهجير المواطنين الفلسطينيين من قطاع غزة.

وبغض النظر كيف ومتى سيأتي الرد الإسرائيلي على إيران، فإن اندلاع حرب إقليمية شاملة في المنطقة هو أمر خطير ليس فقط لشعوب المنطقة وإنما قد تتدحرج الأمور إلى حرب عالمية ثالثة. حرب إقليمية ستلحق بدول وشعوب المنطقة دمارا كبيرا، وخسائر بشرية واقتصادية هائلة. وقد تعود معظم الدول مئات السنوات إلى الوراء مع مثل هذا التطور إن حصل فالجميع سيكون خاسرا حتى لو انتصر في الحرب. كما أن الاقتصاد العالمي سيتأثر بشكل خطير، خصوصا أن المنطقة هي مصدر الطاقة الأهم، بالإضافة إلى كونها تستحوذ على الممرات المائية الأكثر أهمية من الناحية الإستراتيجية سواء للتجارة العالمية أو للأغراض العسكرية. ربما لكل ذلك، وللخطورة الكبيرة فإن أحدا لا يسعى فعليا إلى الذهاب إلى حرب إقليمية لن يكون فيها رابح حقيقي.

○ كاتب من فلسطين